



(شيوخ التربية)

إن المأمول من كل مسجد أيها الإخوة أن يحوي بين جنباته شيخاً مريباً يعيد العاق باراً، والمختلس أميناً، والفاحش أديباً، والعاصي طائعاً، والغافل ذاكراً. وإن المأمول من المجتمع أفراداً ومؤسسات أن يدعم تخريج شيوخ تربية أكفاء ويدعم مؤسسات صناعة هؤلاء القادة؛ لأنه بصلاحتهم صلاح المجتمعات.

وها أنا أضع بين أيديكم نماذج لشيوخ تربية نهضوا بالأمة يوم أدبوا أفرادها، وصنعوا الحياة يوم صنعوا رجالاً لها.

فأولهم وأفضلهم وقودتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: وهذه بعض مواقفه التربوية صلى الله عليه وسلم:

روى الإمام مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بَيْنَا أَنَا أَصْلِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثْكُلْ أُمِّيَا، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَادِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لِكَيْ سَكَتُ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَبِأَيِّ هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي - قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» قال الإمام النووي: (في هذا الحديث بيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من عظيم الخلق...، ورفقه بالجاهل، ورافته بأتمته وشفقته عليهم، وفيه: التخلق بخلقه صلى الله عليه وسلم في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه، واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه).

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ أَخَذَ ثَمَرَةً مِنْ ثَمَرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ كَيْفٌ، أَمَا تَعْرِفُ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ» [البخاري]. فقد خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم المربي الطفل الصغير بما يفهم ليكفه عن الخطأ وليعلمه الصواب.

والثاني: محمد بن سوار شيخ سهل بن عبد الله التستري وخاله: قال سهل: كنت أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي الله ناظر إلي الله شاهدي. فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة سبعة مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة فقلته فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعلك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل من كان الله معه وناظراً إليه وشاهده أعصيه إياك والمعصية.

والثالث والرابع شيخا ابن الجوزي: الشيخ عبد الوهاب الأنماطي، والشيخ أبو منصور الجوالقي: قال ابن الجوزي في كتابه النافع صيد الخاطر في شيخه الأول عبد الوهاب الأنماطي: "إنه كان على قانون السلف لم تسمع في مجلسه غيبة ولا كان يطلب أجراً على سماع الحديث، وكنت إذا قرأت عليه أحاديث الرقائق بكى واتصل بكأؤه فكان -وأنا صغير السن حينئذ- يعمل بكأؤه في قلبي، ويبنى قواعد الأدب في نفسي، وكان على سمت المشايخ الذين سمعنا أو صافهم في النقل".

وقال عن شيخه الثاني الشيخ أبو منصور الجوالقي: "فكان كثير الصمت، شديد التحري فيما يقول، متقناً محققاً. وربما سئل المسألة الظاهرة التي يبادر بجوابها بعض غلمانها فيتوقف فيها حتى يتيقن. وكان كثير الصوم والصمت، فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما" يقول ابن الجوزي: ففهمت من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول.

والحمد لله رب العالمين